بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله و صحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد :

فهذا هو المجلس العاشر من مجالس معهد علوم التاصيل التابع لشبكة إمام دار الهجرة العلمية وهذا هو أول مجلس من مجالس الكتاب الثاني المقرر في هذا المعهد وهو كتاب القواعد الأربع لشيخ الاسلام والمسلمين ومجدد الملة والدين أبي عبدالله وأبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله تعالى، وقلنا سلفاً بأنه سيضطرد معنا مقدمتان:

المقدمة الأولى: متعلقة بالمصنِّف ،والمقدمة الثانية: متعلقة بالمصنَّف .

والعهد قريب بالمصنِّف لأن الكتاب الأول الذي قُرأ كان هو الثلاثة الأصول وقد عرَّفنا بتعريف مقتضب مختصر في ذلك ، والعهد قريب بالكلام عن المصنِّف لأننا كنا قد شرحنا متن الثلاثة الأصول وعرَّفنا بالمصنِّف إذ ذاك، وأما في هذا المقام فإن الكلام سيكون عن المصنَّف ألا وهو القواعد الأربع، وقد ذكرنا من قبل أيضاً بأن من أسباب فهم الكتب معرفة مقاصد المصنِّفين كما قاله الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنجري رحمه الله و هذا أمر معلوم، فالمصنَّف رحمه الله تعالى قد أفصح عن مقصده في تصنيف هذه الرسالة المختصرة المقتضبة التي جمعت معانٍ كثيرة وجمعت قواعد عظيمة فإنه قال رحمه الله تعالى، بعد أن فرغ مما قدَّم به لها بقوله : **وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه لأنه قال، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل و صار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يُخلِّصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه "إن الله لا يغفر أن يُشرَك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.**

فالمصنِّف رحمه الله تعالى هنا أفصح بمقصده من هذه الرسالة، وهذه الجملة وهي قوله : **وذلك بمعرفة أربع قواعد**، هذه الجملة، جملة تعليلية عند البلاغيين بمعنى أنه علَّل تصنيفه لهذه الرسالة ولهذه الأربع القواعد لتكون وسيلةً وسببا لمعرفة الشرك ومعرفة أهله ، والرب تبارك وتعالى قسم الناس إلى فريقين وجعلهم يسيرون على طريقين ويؤوون إلى نهايتين أو يصلون إلى نهايتين، فإن الله جل وعلا قال في

كتابه الكريم (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ) [التغابن: 2] ، هذا حالهم في الدنيا من جهة الأسماء، وحالهم في الأخرة من جهة الأحكام أن الله تعالى قال (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) [الشورى:7] ، وهذان الصنفان من الناس، لكل واحد منهما طريق يسلكه ونهاية يصل إليها فإذا عرفت طريق الشرك وطريق أهله وسبيل الشرك وسبيل أهله تعرفت على التوحيد الذي بعث الله تبارك وتعالى به الرسل وأنزل به الكتب، فإذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ومعرفة الشرك الذي حذَّر الله منه، وبيَّن خطره وضرره في الدنيا والأخرة وهذا أمر مهم وهو ألزم عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة وسائر العبادات وقد جاء في الصحيح في حديث حذيفة بن اليمان أن حذيفة رضي الله عنه كان يقول [كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني] ، وقديما قالوا:

والضد يُظهِر حُسنَه الضد *** وبضدها تتميز الأشياء

فإذا تعرفت على هذه القواعد الأربع، عرفت الشرك وعرفت أهله وعرفت التوحيد استطعت أن تحكم على الأقوال وعلى الإعتقادات وعلى الأعمال بأنها شرك أو توحيد، هذا ما قصده المصنِّف بتصنيفه لهذه الرسالة العظيمة، وابتدأها على عادته بذكر البسملة وبالدعاء للواقف عليها فقال: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

قلنا بأن المصنف رحمه الله تعالى قصد في تصنيفه لهذه الرسالة أن يبين القواعد التي يعرف بها التوحيد والقواعد التي يعرف بها الشرك وبدأها على عادته رحمه الله بذكر البسملة وبالدعاء للواقف عليها، والبسملة تقدم الكلام عليها في الثلاثة الأصول بشيء مختصر مقتضب وافٍ إن شاء الله تعالى بالمقصود، والبسملة كما قال المصنِّف في بعض كتبه فيها استعانة وبركة بمعنى أن الْمُبَسمِل مستعين بالله تعالى وطالب للبركة منه، ثم شرع بالدعاء لمن وقف على هذه الرسالة ومن بلغته، فقال رحمه الله تعالى : **أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والأخرة وأن يجعلك مباركاً أينما كنت وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب إستغفر، فإن هؤلاء الثلاث أو فإن هذه الثلاثة عنوان السعادة** .

لمّا كان من القواعد المتقرّرة في باب أسماء الله تعالى وصفاته أن يُدعى اللهُ جلّ وعلا في كلّ موطن بما يناسبه من أسمائه وصفاته، ذكر المصنّف رحمه الله تعالى هنا الدعاء باسمه الكريم لأنّ من كرمه وسَعَة

فضله أن يتفضّل على عبده بأن يمُنَّ عليه بالبركة والوَلاية ودوام النّعم وزوال الكروب فإن هذا كرم من الرّبّ تبارك وتعالى.

ومن أسمائه جلّ وعلا: الكريم، الذي يُكرِمُ عبادَه ويتفضَّلُ عليهم.

وقول المصنّف رحمه الله تعالى هنا: **أسأل اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم** .

هذا وصف للرّبّ لأنّه صاحب العرش وربّ العرش ، والعرش وصفه المصنّف كما وصفه الله تبارك وتعالى في كتابه بالعظمة وذلك في آخر سورة التوبة حين قال الرّبّ تبارك وتعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [التوبة:129] ، وعظمة عرشه دليل على عظمته تبارك وتعالى وأنّه العظيم جلّ في علاه.

ثمّ قال المصنّف رحمه الله: **أن يتولاّك في الدّنيا والآخرة** .

أن يتولاّك بأن يكون وليّاً لك، يتولّى أمورَك وشؤونك في الدّنيا والآخرة ، بأن يتكفّل بحِفظِك ورعايتِك وكلأتِك في هذه الحياة الدّنيا لأنّ من كان الله جلّ وعلا مولاه فقد كفاه، وأن تصحَبَك هذه الوَلاية إلى الآخرة لأنّ من حافظ على حقوق الله في الدّنيا ووالى اللهَ تبارك وتعالى في الدّنيا كان من آثار ذلك وثمارِه أن تصْحَبَه تلك الولاية في آخرته ، فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا) [المائدة:55] وقال في حق نبيّه عليه الصلاة والسلام: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) [التحريم:4]، فمن نال ولايةَ الله تبارك وتعالى بتقرّبه إليه والعمل بمراضيه والاه اللهُ تبارك وتعالى، كما دلّ على هذه الإشارة قوله جلّ وعلا في الحديث القدسي الذي خرّجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: [ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أُحبّه] ، لأنه قال في أوّله: [من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب]. والمُقدَّمون في الوَلاية هم الأنبياء والرّسل والصّالحون من بعدهم، وقد قال الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي لما رواه عنهما الخطيب (إذا لم يكن العلماءُ هم أولياءُ الله فليس لله وليّ)، فإذا تولاّك الله كان من آثار وَلايَته عليك أن يُوَفّقك للخير ، أن يُيسّره لك، أن يُبعِد عنك الشّقاء، أن يجعلك سعيداً في الدّنيا والآخرة، أن يجعلك سالكاً للطريق المستقيم، فتلك هي حقيقة وَلاية الله ﷻ، وهذه هي أوّل هذه الدّعوات التي دعا بها المصنّف رحمه الله تعالى للواقف على رسالته هذه، طالباً أو حافظاً أو قارئاً أو شارحاً أو مستشرحاً، ثمّ دعا بدعوة ثانية لا غِنى لكلّ مسلم عنها فقال: **وأن يجعلك مباركاً أين ما كنت** أن يجعلك مباركاً أين ما كنت أي ممّن تناله

البركةُ وتُنال البركةُ من جهته بمعنى أنّه يكون مباركاً بالدلالة على الخير والعلم ونشره، فبركات أولياء الله الصّالحين الذين قدّمتُ لك بأنّ في مقدّمتهم الأنبياء والعلماء، فبركات أولياء الله الصّالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله وفي دعائهم للخلق وبما يُنزلُ اللهُ من الرّحمة وما يدفع من العذاب بسببهم حقٌّ موجود، فمن أراد بالبركة ، هذا وكان صادقاً فقوله حق وأمّا المعنى الباطل لهذه البركة وأمّا المعنى الباطل فمثلُ أن يريد الإشراك بالخلق مثل أن يكون رجل مقبور بمكان فيظنّ أن الله يتولّاه لأجله وإن لم يقم بطاعة الله ورسوله فهذا جهل وشرك بالله تعالى كما قرّره شيخ الإسلام أبو العبّاس أبن تيميّة رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى - ابن القاسم - وبعض النّاس ربّما قال إنّ هذا وقع له ببركة الشيخ أو الشيوخ فقد يعني بهذا، يعني بها، الدّعاء، قال شيخ الإسلام: (وقول القائل: ببركة الشيخ، قد يعني بها دعاءه وأسرع الدعاء إجابةً دعوة غائبٍ لغائب وقد يعني بها بركة ما أمره به وعلّمه من الخير وقد يعني بها بركة اتّباعه له على الحق ومحبّته له في الله وطاعته له في طاعة الله وقد يعني بها بركة معاونته له على الحقّ وموالاته له في الدّين ونحو ذلك وهذه كلّها معان صحيحة وقد يعني بها دعاء الميّت والغائب إذ استغلال الشيخ من ذلك التأثير أو فعله لما هو عاجز عنه غير قادر عليه أو غير قاصد له، ومتابعته أو مطاوعته على ذلك من البدع والمنكرات...) إلى آخر ما قرّره شيخ الإسلام رحمه الله، وفهم هذه المسألة مهمّ جدّاً لأنّ بعض النّاس ربّما يظنّ أنّ البركة الواقعة بالعالِم أو بالصالحين بركة من جهة ذواتهم، هذا خلل في التوحيد وهو من الفتن العظيمة التي تعلّقت بها قلوب كثيرين من النّاس، ومن نفائس الشاطبي التي انفرد بها أنه حكى الإجماع، إجماع الصّحابة على أنهم كانوا يتبرّكون بالنّبيّ ﷺ وبآثاره ثمّ عكس الإجماع بأنّهم لم يكونوا يفعلون هذا مع غيره عليه الصّلاة والسّلام، فلم يُنقَل إلينا أنّهم تبرّكوا بأبي بكرٍ أو بعمر أو بعثمان أو بعليٍّ رضي الله عن الجميع، جميع العشرة وأصحاب الشجرة. ولم يتبرّك بعضهم ببعض فدلّ إجماعُهم على هذا الفعل وعلى هذا التَّرك على أنّه لا يجوز أن تُطلب البركة من الذّوات سوى من ذات النبيّ ﷺ، والبركة من الله كما قال نبيُّنا عليه الصّلاة والسّلام، وقد قال الرّبّ جلّ وعلا في كتابه الكريم عن نبيّه عيسى عليه الصلاة والسّلام: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) [مريم:31] ، يعني كما قال أئمّة التفسير: (جعلني معلِّما للخير وداعية إلى الخير)، فالمصنّف رحمه الله تعالى قال: **وأن يجعلك مباركاً أين ما كنت** ، والبركة لزوم الخير وثبوته وزيادته ونماؤه، فهو يدعو لك بعد أن تكون وليّاً لله أن تكون المباركة من الله ملازمة لك وزائدة عندك.

ثمّ دعا بدعوة ثالثة فقال: **وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر وإذا ابتلي صبر.**

العبد يتقلّب بين سرّاءَ تُسعده فيشكر اللهَ عليها وبين ضرّاءَ تُتعِسه فيصبر عليها، دلّ على هذا ما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي يحيى صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه أنّ نبيَّنا عليه الصلاة والسّلام قال: [عجباً لأمر المؤمنِ إنّ أمرَه كلّه له خير إن أصابته سرّاءُ شَكَرَ فكان خيراً له وإن أصابته ضرّاءُ صَبَرَ فكان خيراً له وليس ذلك إلاّ للمؤمن] أو كما قال نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام، فإذا عرفت أنّ العبد يتقلب بين السّرّاء والضّرّاء فإنّ السّرّاء لها مقابلة والضرّاء لها مقابلة، فبماذا تُقابَلُ السّرّاءُ ؟ تُقابَلُ السّرّاءُ بالشّكر لا بالفرح والبطر والأشر ، وتُقابلُ الضّرّاء بالصبر لا بالجزع والتسخّط وهذا الذي ينبغي ويجب أن يكون عليه حال المؤمن، فهو يقول لك : **وأن يجعلك ممن إذا أُعطي** وجعل الفعل هنا لما لم يُسمَّ فاعلُه لأنّه معلومٌ فإنّ العطاء إنّما يكون من جهة الرّبّ، فهو الذي يُعطي عبادَه، وكذلك **إذا ابتلي صبر**، فإذا أُعطي العبد شكر إعترافاً بالقلب بمعنى أن يُحدّث قلبَه بهذه النّعمة أنّها من الله وتحديثاً باللسان وعملاً بالجوارح، (اعِمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا)، وفي هذا العمل يدخل عمل القلب وعمل الجوارح وهذه هي أركان الشكر، فإنّ الشكر لا يصحُّ إلاّ بهذه الأركان الثلاثة.

وأركان الشكر ثلاثة:

1- إعتراف القلب 2- وتحديث اللسان 3- وعمل الجوارح والأركان بصرفها في طاعة الله تبارك وتعالى ، كما قرر ذلك أئمة الإسلام ومنهم الحافظ أبن القيم عليه رحمة الله .

وإذا أبتلي صبر: حبس نفسه ، حبس قلبه ولسانه وجوارحه عن التجزع والتسخط عند الصدمة الأولى فإن حقيقة الصبر حبس النفس عن هذه المواطن عن الجزع والسَخَط أو السُخْط فإذا إبتلاه الله بنوع من البلاء والإختبار الذي يختبر به إيمانه وديانته وصدقه مع الله فإنه يصبر والصبر ثلاثة أنواع:

1- صبر على الأقدار المؤلمة .

2- وصبر على طاعة الله بفعلها .

3- وصبر عن معصية الله بإجتنابها .

وإذا أذنب إستغفر: وهذه دعوة خامسة على ما ذكره المصنف: **أسال الله أن يتولاك** أن يجعلك ولياً هذه واحدة ، **أن يجعلك مباركاً أينما كنت** هذه ثانية ، **أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر** هذه ثالثة ، **وإذا أبتلي صبر** وهذه الرابعة ، **وإذا أذنب إستغفر** .

لما كان العبد والمؤمن ليس من شرط ولايته لله ولا تقواه لله أن يكون معصوماً من الذنب كما قرر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله بكلام نفيس له في "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ، لما كان المؤمن ليس من شرط إيمانه وولايته وتقواه لله أن يكون معصوماً بل ترد عليه الذنوب ، ترد عليه المعاصي ، تناجيه نفسه شيطانه كما قال جل وعلا (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۞ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) [الاعراف:201-202] ، وكذلك في قوله تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) [ال عمران:135] ، قال هذه الصفات بعد أن قال أعدت للمتقين (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [ال عمران:134-135] ، فلما كان هذا حال المؤمن كان محتاجاً إلى الإستغفار والعبد متقلب بين هذه الأمور ، وقد تصيبه الذنوب فيستغفر الله تبارك وتعالى (وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) وكما جاء في الصحيحين في قوله جل وعلا في الحديث القدسي [من يستغفرني فأغفر له] ، في نزوله جل وعلا ، فالمؤمن يحتاج إلى هذه الأمور ولما ذكر هذه الدعوات قال: **فإن هذه الثلاث** أي الثلاث الأخيرة **عنوان السعادة** يعني أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر ، أعاد الضمير على الثلاث فقط ونص عليها لماذا ؟

لأن هذا هو محصل كلام الحافظ أبن القيم رحمه الله ، فإن المصنف رحمه الله تعالى وإن لم يشر هنا أخذ هذا الكلام من الحافظ أبن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "الوابل الصيب من الكلم الطيب" وذكر هذه الثلاث المسائل ، هذه الثلاث الدعوات ، هذه الثلاثة الأمور وهو أنك إذا أعطيت شكرت ، وإذا أبتليت صبرت ، وإذا أذنبت إستغفرت ، إذا إجتمعت فيك هذه الخصال الثلاث فإنها عنوان السعادة ، والعنوان كما هو معلوم ما يفصح ويبيّن عن مضمون الشيء فحقيقتك أنك سعيد متى ؟ إذا أعطيت شكرت ، وإذا أبتليت صبرت ، وإذا أذنبت إستغفرت فإذا إجتمعت فيك تلك الخصال فقد نلت السعادة التي ينفق عليها أصحاب الملك ملكهم وأصحاب المال أموالهم وأصحاب الجاه جاههم فمن أتاه الله تبارك وتعالى هذه الأمور الثلاثة فقد حيزت له السعادة .

ثم أنتقل المصنف رحمه الله تعالى إلى توطئة بهذه الرسالة العظيمة فقال :

إعلم أرشدك الله لطاعته : هذا أيضاً دعاء دعا بالرشد لك ، والرشد هو السداد لأنه ضد الغي وأستعمل في القرآن للتقابل بينهما بين الرشد والغي كما قال تبارك وتعالى (قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة:256] ، وكما قال جل وعلى (وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) [الاعراف:146] ، فهو يقول أرشدك الله لطاعته أي جعلك راشداً ومر معنا في الثلاثة الأصول أن الطاعة فعل المأمور يعني يراد بها فعل الأوامر وإجتناب النواهي هذا حقيقة الطاعة قال: **أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى** (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ، الحنيفية مر معنا في الثلاثة الأصول أن كثيرين من العلماء فسروها باللازم بمعنى أنها ميل عن الشرك وإقبال على التوحيد وأبن القيم رحمه الله تعالى أبدى إعتراضاً على هذا التعريف في "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام" وأن التفسير الصحيح لها بأنه الإقبال على الله ، الميل عن ما سواه ، وهذا هو أيضاً قول شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله تعالى في طائفة من كتبه وهو المعتمد فيما يقرره شيخنا العلامة الفوزان رحمه الله تعالى في دروسه وشروحه فالحنيف: هو المقبل على التوحيد المائل عن الإشرك ، قد تكلمنا عن الوجه اللغوي في هذا في الثلاثة الأصول ، ملة إبراهيم أي دينه الذي كان عليه وأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بإتباعه فقال (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [النحل:123] ، فالله جل وعلا برأه من اليهودية والنصرانية (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [ال عمران:67] ، وبيّن هذه الحنيفية ما هي ؟ بقوله (أن تعبد الله مخلصاً له الدين) ومخلصاً هنا حال ، بمعنى أن حالة أن تكون مخلصاً لله تعالى ، أن تعبد الله حال كونك مخلصاً له لأن الله لا يقبل العبادة إلا إذا كانت خالصةً له لم يخالطها شرك أكبر ولا شرك أصغر ، **مخلصاً له الدين** وهذه هي الحنيفية كما فسرها المصنف **أن تعبد الله** وهذا معنى قوله لا إله إلا الله مخلصاً له الدين فلا تعبد إلا الله وتجتنب الشرك ولأن المصنف رحمه الله سيذكر لك أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وسيبين لك ما سيربط به بهذه أو في هذه القضية ، بين ما ألفه الناس من حرصهم على عبادتهم العملية وهي الصلاة في أن ذلك يجب أن يكون أيضاً في جميع أمورهم وأعظمها ومن ذلك أو أعظم ذلك التوحيد أن الحنيفية ملة إبراهيم ، ما الحنيفية ؟ أن تعبد الله مخلصاً له الدين فمن لم يعبد الله أو عبده وعبد غيره معه لم يكن حنيفاً وبذلك أمر الله جميع الناس دون إستثناء ويدخل فيهم الجن كما ذكر ذلك في الثلاثة الأصول قبل ، **وخلقهم لها** أي أن الغاية التي خلقهم لها هي عبادته ، **كما قال تعالى** يعني أن الدليل الدال على هذا الأمر قوله تعالى

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) تقدم معنا أن هذه الآية فيها نفي وإثبات وأن هذا هو أقوى أساليب الحصر عند العرب وأقوى اساليب القصر عند البلاغيين لأن الله حصر خلق الخلق في غاية واحدة وهي عبادته وفسّر المصنف رحمه الله إلا ليعبدون في مواطن من كتبه في قوله يوحدون وأعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك ولما فرغ من هذا قال: **فإذا عرفت** وهذه الفاء يعني تفريعية فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته أي من أجل عبادته **فأعلم** يقول لك **فأعلم أن العبادة لا تسمى عبادةً إلا مع التوحيد** وقد جاء في الصحيحين في قصة إرسال النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن أنه قال له في رواية [إلى أن يعبدوا الله] وفي رواية [إلى أن يوحدوا الله] وفي رواية قال [أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله] فدل هذا على التلازم بين هذه الأمور فقال: **لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد** فالعبد لا يسمى عبداً على الحقيقة التي هي العبادة الإختيارية إلا إذا كان موحداً لماذا ؟ لأن الإنسان قد يعبد الله ويعبد غيره معه (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ) [يوسف:106] ، (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء:36] ، وإنما نهاهم عن الإشراك في عبادته بوقوعه قال رحمه الله: **كما أن الصلاة لا تسمى صلاةً إلا مع الطهارة** ، أراد أن المصلي من جهة التسمية ومن جهة الحقيقة لا يسمى مصلٍ ولا تسمى صلاته صلاة إلا إذا كانت مع الطهارة والطهارة كما هو معلوم شرط في صحة الصلاة هذا أمر مجمع عليه من جهة طهارة الحدث فإذا صلى بغير طهارة فإنما أدى أفعالاً صورتها صورة الصلاة ولكنها ليست في حقيقة الأمر صلاة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لذاك الرجل [إرجع فصل فإنك لم تصل] مع أنه إستقبل القبلة وأدى بعض الأعمال المتعلقة بالصلاة ، فالمصلي لا يسمى مصلياً ولا يسمى فعله صلاة إلا إذا عملها على مقتضى الصورة الشرعية ظاهراً وباطناً ، فمن صلى أو أدى تلك الأفعال بدون طهارة لم يكن مصلياً في حقيقة الأمر .

قال رحمه الله: **فإذا دخل الشرك في العبادة أفسدته** : يقول هنا رحمه الله فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة ، **كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت** خالطها ودخل فيها كالحدث إذا دخل في الطهارة ، الحدث الذي هو حدث أكبر أو حدث أصغر الذي هو الناقض للوضوء إذا دخل في الطهارة أفسدها يفسد بذاك الحدث إذا دخل في الطهارة يعني أنه يفسدها ، وإنما ضرب المصنف رحمه الله تعالى هذا المثل لأمرين إثنين والله أعلم :

الأول منهما: أن الذين خالفوه في مسائل التوحيد وإفراد الله بالعبادة قد أُغرقوا وأغرقوا أنفسهم بالتعرف على الأحكام الفرعية العملية ومعرفة وجوهها وحفظ نصوصها ومتون الفقه المتعلقة فيها بما لم يعطوا عشره بمعرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله عليهم الصلاة والسلام .

والأمر الثاني: أن هذا فيه تقريب للعامة فإن العامة يفهمون مثل هذا الأمر ، لا تجد عامياً لا مشاركة له في العلم يصلي إلا وهو يعلم أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة ، فأراد أن يقول له بأنك كما أنك لا تصلي إلا بطهارة لأن الصلاة لا تصح إلا بها وكذلك لا تعبد الله إلا بالتوحيد لماذا ؟ لأن العبادة لا تصح إلا مع التوحيد ، فهو رحمه الله وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين في تقريبه للعلم سلك كل السبل الموصلة إليه .

- وقد انتهى بنا المقام إلى قول المصنف رحمه الله تعالى " كالحدث إذا دخل في الطهارة " ثم قال رحمه الله تعالى رابطا بين ما تقدم بقوله **" فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط في العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه"** .هذا كلامه الذي ختم به ما وَطَّئ به لهذه القواعد الأربع .

فيقرر بعد ما ذكر من المثال أن العبد إذا عرف أن الشرك إذا خالط أو دخل في العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين .

هذه ثلاثة آثار من أعظم وأشد آثارالشرك.فان الشرك له آثار عظيمة وأضرار جسيمة على العبد في الدنيا وفي الآخرة .

فيقول لك إذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أي دخل في هذه العبادة واختلط بها فصار الإنسان عابدا لله تبارك وتعالى بهذا المعنى وعابدا لغيره. فخلط الشرك بالعبادة - كما تقدم في الكلام عن ذلك- وإن الله اذا نهى عن أمر فإنما ينهى عنه لإمكان وقوعه ، كما قال تعالى " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا " النساء الآية 36 فإذا اختلط الشرك بالعبادة وصار مخالطا لها أفسدها وهذا هو أول آثار الشرك أن العبادة تكون فاسدة لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه فتفسد هذه العبادة لأنه انتقض شرط من شروطها ، وشرطا العبادة هما الإخلاص لله تعالى و المتابعة لرسوله ﷺ

شرط قَبول السعي أن يجتمعا *** فيه إصابة وإخلاص معا

لله رب العرش لا ســـــــــــواه *** موافق الشرع الذي اقتضاه .

فالعبادة تفسد وهذان هما الشرطان المذكوران في قوله تعالى " فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" الكهف الآية 110

وأي اثر أعظم من هذا الأثر فإذا كان الإنسان يتعبد الليل والنهار وهو مشرك بالله تعالى وعبادته فاسدة فما الذي يستفيدها منها

*والأثر الثاني قال "وأحبط العمل_" بمعنى أن العمل يكون حابطا وباطلا ولا أثر له فهو عمل هذا العمل وهذا الإبطال او الإحباط يكون بعد وقوع العبادة

-العبادة تفسد في حال فِعْلها اذا خالطها الشرك ، وقد يعمل العبادة وهو مخلص لله تعالى فيقع في الشرك فتحبط تلك العبادة قال وأحبط العمل كما قال جل وعلا " وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ " الانعام الآية 88 وكما قال جل وعلا " لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " الزمر 65 فيحبط العمل الذي خالطته العبادة أو تحبط العبادة التي خالطها الشرك ويفسد العمل الذي خالطه الشرك ويحبط العمل الذي أعقبه الشرك .

- ومن أعظم الآثار قال : " وصار صاحبه من الخالدين في النار " فهذا أثر عظيم وخطر جسيم مترتب على الإشراك بالله قال تعالى " إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" المائدة 72 .فالمشرك خالد في نار جهنم عياذا بالله لا يخرج منها .

قال المصنف : " الذي قال الله تعالى فيه -يعني الشرك – " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ " النساء فالله جل وعلا لا يغفر الشرك به كما جاء في صحيح مسلم ... عليه الصلاة والسلام أنه قال: فيما يرويه عن ربه " أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ . مَن عمِل عملًا أشرك فيه معِي غيرِي ، تركتُه وشركُه" .

وهذه الآية أستدل بها طائفة من أهل العلم على أن الشرك الأصغر لا يغفر وإن كان صاحبه لا يخلد في نار جهنم فهو مشارك للشرك الأكبر في عدم الغفران ومفارق للشرك الأكبر بعدم الخلود في نار جهنم .بمعنى أن صاحب الشرك الأصغر لا يدخل تحت المشيئة من جهة المغفرة ولا يدخل تحت الذنوب التي فيها وعيد .

قال رحمه الله:" وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه " وهذه هي الجملة التعليلية التي قدمناها لكم من جهة أن المصنف رحمه الله تعالى.

قال قبل ذلك " عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله"

فسمى الشرك شبكة وهذه الشبكة نصبها أهلها بإيقاع أهل التوحيد وأول من نصبها إبليس عليه لعائن الله بأهل الأرض حتى يقعوا فيها ، وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه " إن الله لا يغفر أن يشرك به "

قال رحمه الله : "وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه " هذه الجملة التي قدمنا بأنها جملة تعليلية بمعنى أن المصنف بين فيها السبب الذي وجد لتصنيف هذه الرسالة ولذكر هذه القواعد الأربع

التي من أتقنها وعرفها وتبينت له استطاع أن يحكم على التوحيد وأهله وعلى الشرك وأهله قال : " وذالك بمعرفة أربع قواعد" (أربع) هذا العدد لا مفهوم له يعني أنه ليس مقصودا لذاته فان الأعداد التي تأتي في كلام العرب قد يراد بها ذاتها أي ذات المعدود فلا يزاد عليه ولا ينقص منه كما هو معلوم في مواضع في أبواب الكفارات والديات وماشابه ذلك ، وقد لا يكون العدد مقصودا لذاته وإنما لشيء من أهميته أو لتعظيمه كما في قوله تعالى " إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ " التوبة الاية 80 ومثل هذا أيضا ما ها هنا معنا بمعنى أن هذه الأربع قواعد هي أهم القواعد التي يعرف بها الشرك وأهله ويعرف بها التوحيد وأهله .

ولهذا قال شيخنا العلامة ابن عقيل عليه رحمة الله : " هذه القواعد هي أهم القواعد التي يعرف بها الشرك ويعرف بها التوحيد ' وغيرها في الكتاب والسنة كثير فإذا أراد العبد أن يزيد عليها من الكتاب والسنة زاد .

فإذا هذه الأربع قواعد جليلة القدر مهمة لابد ان يتبينها طالب العلم التي أربعة قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه وهذه هي طريقة المصنف رحمه الله وهي أنه يربط طالب العلم ويربط المسلم بالدليل من الكتاب ومن السنة بمعنى أنه يقول لك أنا لم آت بهذه القواعد من عند نفسي لم أقعدها واضعها من جهتي وإنما هذه القواعد ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه. بمعنى أنه ذكر أدلتها ونصوصها التي دلت عليه ولذلك ما سيذكر لك قاعدة إلا وسيذكر دليلها أو أدلتها ، وهكذا أهل العلم وهم أهل التقعيد وهم آهل التأصيل لا يقعدون من عنديات أنفسهم ولا يؤصلون من جهة أنفسهم كما هو حال أهل البدع والضلال والجماعات والأحزاب والفرق فإنهم يعقد لهم أئمتهم قواعد أدلة الكتاب والسنة تنقضها وتردها ويجعلونها هي القواعد التي يتحكمون للناس فيها ، ورحم الله ابن القيم إذ يقول: " هدم ألف قاعدة أولى من ترك دليل واحد " او كما قال رحمه الله في إعلام الموقعين ، ولما فرغ المصنف من هذه التوطئة العظيمة التي تبين لك أهمية هذه الأمور شرع في بيان القواعد .

والقواعد معلوم أنها جمع قاعدة وأنها أصل الشيء وأساسه ، وما يكثر ترداده في الكتب والشروح غالب لا نهتم بذكره وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت والمراد بها الأصول التي يرجع إليها في معرفة الشرك ها هنا

قال رحمه الله : **القاعدة الأولى " أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر وأن ذالك لم يدخلهم في الإسلام والدليل قوله تعالى : "قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ "** هذه هي القاعدة الأولى من القواعد الأربع التي ذكرها المصنف - رحمه الله -

أن تعلم علم يقين أن الكفار بجميع طوائفهم وشُعَبِهم لا استثناء فيهم الذين قاتلهم رسول الله ﷺ .لأن هذا من أهم الأعمال المتعلقة بالكفار ،التكفير لهم والقتال لهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .قال

تعالى " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" التوبة 29

وقال: " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ " البقرة 193 وفي الآية الأخرى "وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ" الانفال 39 كما سيذكر المصنف فيما يُستقبل من كلامه .

هذان الأمران هما أهم الأمور المتعلقة بمعاملة به الكفار الحربين المعرضين عن الله هو تكفيرهم وقتالهم، وهذان الأمران من أهم الأمور التي انتقدت على الشيخ رحمه الله وبعضهم وافقه بالتكفير ولم يوافقه في القتال على تفاصيل ذكرها في بيان دعوته في رسائله التي كتبها للمخالفين

فقال الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر وهذه الأمور هي الأمور التي عليها مدار الربوبية ووقع في بعض النسخ زيادات لم اذكرها للمقابلة لأنها ليست في النسخ المشهورة فقد ذكرت لكم بأن النسخة التي جعلتها أصلا هي التي قرأتها على شيخنا ابن عقيل عليه رحمة الله

وهذه الأمور التي هي الخلق والرَّزْق والتدبير من أهم الامور التي عليها مدار الربوبية فتوحيد الربوبية دائر على هذه الثلاثة الأمور وأيضا على المِلك وإذا تأملت القرآن رأيت أن غالبا ما يذكر فيما يتعلق بالربوبية هو هذا .

والتوحيد عند أهل السنة وأئمة الملة ينقسم ثلاثة أقسام :

توحيد الربوبية وهو الذي عناه المصنف ها هنا والثاني : توحيد الالهية وهو توحيد الله بأفعال العباد

وتوحيد الأسماء والصفات وهو الإقرار بما جاء في الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته بدون تحريف ولا تعطيل وبدون تكييف ولا تمثيل ، فالمشركون هؤلاء أقروا بالربوبية ولم يدخلهم هذا الاقرار في الإسلام كما قال : المصنف رحمه الله " **وأن ذالك لم يدخله في الإسلام** " والدليل الدال على أن المشركين الأولين الذين بُعِث فيهم رسول الله ﷺ وكفرهم وقاتلهم وكانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق والرازق والمدبر قوله تعالى " قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " هذا هو دليل الرَّزْق " أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ" هذا هو دليل الملك " وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ " هذا هو التدبير " فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ" أي الذي يفعل هذا كله " فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ" أي أفلا تتقون الشرك لتتقوا به عذاب الله تعالى ، فدلت هذه الآية على أن المشركين الأولين كانوا مُقِرِّين بربوبية الله تبارك وتعالى .

وغاية ما يدعوا إليه المتكلمون من المتأخرين الذين يتكلمون في التوحيد ويسمون التوحيد بعلم الكلام أنه يُوصِلهم إلى هذا الإقرار ويوصلوا إلى من يدعونه إلى هذا الإقرار وهو أيضا الغاية التي تنتهي إليها دعوة من سمو أنفسهم أو سمو علومهم أو دعوتهم بالإعجاز العلمي في القرآن أو في السنة فإن غاية ما

يدعون إليه إن توقفوا عند ذالك الحد هو أنهم يدعون إلى ما يقروا به المشركون وما يقروا به الأولون من أهل الشرك ألا وهو ربوبية الله تعالى ، وأما كلامهم في توحيده في إلاهيته فإنه إن وجد فنذر يسير ، فالمشركون الأولون لم يكونوا يخالفون رسلهم عليه الصلاة والسلام في الإقرار بأن الرب هو الخالق وهو الرازق وهو المَلك وهو المدبر والأدلة في هذا كثير في القرآن والسنة وطوائف المرشدين من دعاة القبور وعبَّاد الأضرحة الذين كتبوا الكتب يقولون : بأن هذا الإقرار من المشركين الذين نزل فيهم القرآن إنما كان من باب التَّجوز أو التمشي مع الخِطاب كما صرَّح بهذا السَقَّاف وأمثاله" من أن المشركين الأولين لم يكونوا يقرون بأن الله هو خالقهم وهو رازقهم فكيف تفعلون بهذه الأيات.

قالوا : إنما كان هذا من باب التنزل فيجيبونه ليسكت عنهم هذا معنى كلامهم وإلحادهم –عياذ بالله- كيف يفعلون بمثل قوله تعالى في كتابه الكريم :" وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ "يوسف 106 كقوله تبارك وتعالى :" فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ " وفي قوله تعالى : " قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا " الاسرار 102وكذالك في قوله تعالى " "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا "والى غير ذالك من الآيات.

إذا فالمعرفة بالربوبية لا تدخل في الإسلام ، كونِ الإنسان يعرف أن الرب تبارك وتعالى موجود وأنه هو الخالق وأنه هو الملك وأنه هو المدبر هذا لا يجعله مسلما لا يكون مسلما بذالك فإذا ضبط هذه القاعدة وتقررت في نفسك السؤال المفترض الذي ستطرحه أنت وسيطرحه كل واقف عليها هو الذي ربما استحضره المصنف تقول إن كان هؤلاء مقرون إن الله هو الخالق والرازق وهو الملك وهو المدبر فما هو شركهم بين لي شركهم أخبرني ما الشرك الذي وقعوا فيه حتى لا أقع فيه فذكر لك القاعدة الثانية هذا هو الرابط بين القاعدة الأولى والثانية أن من عرف أن المشركين الأولين كانوا مقرين بالربوبية ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام وصاروا كفار وقاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام ودخلوا في عموم قوله : " : أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا : لا إله إلا اللهُ . فإذا قالوا : لا إله إلا اللهُ" فما هو شركهم إذا وهذا حق لبد وأن يعترف به من حق المسلم ومن حق طالب العلم أن يفترض هذا السؤال فما هو الشرك إذا إذا كان مجرد المعرفة بالربوبية لا تكفي فما الشرك فقال : القاعدة الثانية أنهم يقولون من هم :

المشركون الأولون الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقالوا بأن الرب هو الخالق والرازق والملك والمدبر لم يدخلهم في الاسلام قال أنهم يقولون : ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة فدليل القربة قوله تعالى " وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ" الزمر الآية3

بين المصنف رحمه الله في هذه القاعدة ما هو الشرك الذي كان عليه أهل الجاهلية يعني شركهم الغالب شركهم المشهور صرحوا به شبهتهم مع قول بأن الرب هو الخالق والرزاق والملك والمدبر ما هو شركهم الشرك الظاهر ما هي شبهتهم في أنهم لا يصرفون العبادة لله أنهم يقولون نحن ما دعونا هؤلاءِ يعني ما دعونا هذه الالهة وهؤلاء الأصنام وهذه الأوثان ما دعوناهم وطلبنا منهم حوائجنا وتوجهنا إليهم بعبادتنا وبقلوبنا إلا لطلب القربة والشفاعة أي أن نجعلهم قربة ووسيلة إلى الله تعالى ونجعلهم شفعاء يشفعون لنا إلى الله ﷻ هذه هي شبهتهم لا أنهم يعبدون هؤلاء لأنهم يملكون أو يخلقون أو يرزقون أو

يدبرون لا ولم يزعموا هذا وهم يصنعون هذه الأصنام بأنفسهم فإذا هم يقولون إلا لطلب القربة أي لطلب أن يكون قربة إلى الله وليكون شفعاء إلى الله والشبهة الموصلة إلى هذه الشبهة أنهم يقولون نحن مذنبون وخالطنا الأعمال السيئة هؤلاء أهل الله هؤلاء هم الصالحون وهؤلاء هم الوجهاء وهؤلاء هم الذين رغم القرب الى رب تبارك وتعالى فنحن نتقرب إليهم ونتقرب بهم فتقرب إليهم ليرضوا عنا ويصيروا قربة لمن إلى الله جل وعلى ونتوسل بهم أو نستشفع بهم .

قلنا أن المصنف رحمه الله تعالى بين شبهتهم التي شبه عليهم بها الشيطان وَشَبَّهوا بها على الناس أنهم زعموا أن عبادتهم لهؤلاء إنما هي لطلب القربة وهذا هو شركهم بالله تعالى ولم بين المصنف رحمه الله تعالى هذا الدليل أو هذا الأمر وأن شرك المشركين الأولين والذي استمر عليه أتباعهم إلى يومينا هذا هو شبه القربة فقال ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إ لطلب القربة والشفاعة نريدهم أن يكونوا مقربين لنا إلى الله تعالى لأننا قوم تلطخنا بالذنوب وبالسيئات والمعاصي وهؤلاء أهل الله وأهل الصلاح وكذالك نتقرب إلى الله بشفاعتهم كما سايأتي بعد ذلك.

قال رحمه الله فدليل القربة أي الدليل الدال على أن شرك المشركين الأولين هو طلب القربة لله تعالى بمعنى أنهم يجعلون هذه الآلهة التي لا تنفع ولا تضر يجعلونها قربة يتقربون بها إلى الله تعالى قوله تعالى : " وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ " والذين اتخذوا من دونه أوليا " أي تبارك وتعالى أولياء أي يوال ونهم ويحبونهم ويطلبون النصرة يقولون ما نعبدهم نحن والآن نتقرب إليهم بأنواع من العبادات إلا لشيء واحد ما هو ليقربونا إلى الله زلفى أي لأجل أن يقربونا إلى الله زلفى أسرع قربة قال الله تعالى :" إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ" كاذب في زعمه أن هذه قربة إلى الله لأن الله لم يجعل هذه قربة وهم كفار لأنهم غطوا الحق وأبطلوه أعرضوا عنه فهذا شرك أو هذا شيئ من شركهم .

- وقد أنتهى بنا المقام إلى الكلام على القاعدة الثانية وإلى طرف منها وهو ما ذكره من الدليل الدّال على أن شركهم كان في زعمهم إتخاذ القربة ، وهذه القاعدة تضمّنت أنّ شرك المشركين إنما هو في طلب القربة وفي طلب الشفاعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" قال:

(فأخبر تعالى عن المشركين أنهم كانوا يقرّون بأن خالق العالم واحد مع إتخاذهم آلهة من دونه سبحانه يتخذونهم شفعاء إليه ويتقرّبون بهم إليه).

هذه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبهذا يُعلم بأن الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب قد ذكر هذين الأمرين وقد ذكرهما شيخ الإسلام رحمه الله تعالى قبله.

قال عليه رحمة الله: **ودليل الشفاعة**: وقبل الخوض في الكلام على الشفاعة نريد أن نتعرّف هل هناك فرق بين القربة وبين الشفاعة من جهة العموم والخصوص؟

القربة أعمّ من الشفاعة ، القربة كلّ ما يُتقرّب به إلى المتقرَّب إليه ، ومن جنس ما يُتقرَّب به إليه الشفاعة التي هي نوع طلب من الشافع إلى المشفوع إليه ، هذا هو الفرق بين القربة وبين الشفاعة ، الشفاعة أخصّ لأنّها نوع دعاء ، والقربة أعمّ.

قال رحمه الله: **ودليل الشفاعة**: أي والدّليل الدّالّ على أن شرك المشركين كان في زعمهم أنهم يطلبون الشفاعة من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله تبارك وتعالى أن تشفع لهم إلى الله جلّ وعلا لأنّ الشفاعة مأخوذة من الشفع الذي هو ضدّ الوِتر أو الوَتر وهما لغتان وبهما قرأ القرّاء رحمهم الله تعالى فهي أن يُضَمَّ صوت إلى صوت ليُشفَعَ عند المشفوع إليه وهذه حقيقة الشفاعة. وعلى هذا فالشفاعة نوع من الدّعاء فإن قلت كما قال أحد السّائلين في الدّرس الماضي أو في درس الليلة البارحة ما الفرق بين التوسّل وبين الشفاعة إذا كانت الشفاعة دعاءً ؟

هذا الأمر يخلط فيه كثير من النّاس ، كما نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغفر له بمعنى أنّهم يجعلون الشّفاعة ، أو يجعلون التوسّل هو الشفاعة ، وما الفرقُ بينهما إذن ؟ التوسّل لا يكون فيه شافع يدعو للمشفوع له ، والشّفاعة يكون فيها شافع يدعو لهذا المشفوع له ، وكثير من العامّة يستعملون لفظ الشّفاعة في معنى التوسّل يقول شيخ الإسلام: (كثير من العامّة يستعملون لفظ الشّفاعة في معنى التوسّل فيقول أحدهم اللهم إنا نستشفع إليك بفلان وفلان أي نتوسّل به ويقولون لمن توسّل في دعائه بنبيّ أو غيره قد تشفَّعَ به من غير أن يكون المستشفِع أو المستشفَع به شفع له ولا دعا له بل وقد يكون غائباً لم يسمع كلامه ولا شفع له وهذا ليس لغة النبيّ ﷺ وأصحابه وعلماء الأمّة بل ولا هو لغة العرب فإنّ الاستشفاع طلب الشفاعة والشافع هو الذي يشفع السائل فيطلب له ما يطلب من المسؤول المدعو المشفوع إليه) ، هذا هو معنى أو الفرق الدقيق بين التوسّل وبين الشفاعة ، المتوسّل يتوسّل بمن لا وجود له أو بمن هو غائب، الشافع يستشفع بمن هو موجود، الصّحابة كانوا يستشفعون بدعاء النبيّ ﷺ.

ماهو الدّليل الدّال على أنّ شرك المشركين كان في طلب الشفاعة ؟

قال المصنّف: **قوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ ما لا يضرّهمْ ولا ينْفعهمْ ويقولون هٰؤلاءِ شفعاؤنا عِنْد اللهِ) [يونس: 18]** أي هؤلاء هم الذين نستشفع بهم عند الله ونجعلهم شفعاء لنا عند الله تبارك وتعالى وهم يعلمون أنّ هؤلاء الشّفعاء لا يضرّون ولا ينفعون ولايعطون ولا يمنعون ولكن اتخذوهم شفعاء بزعمهم عند الله تعالى وقد ذكرنا في شرح الثلاثة الأصول أن شرك المشركين ... ذكر شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله في "التوسّل والوسيلة" وفي غيره من كتبه راجع إلى نوعين من الشرك: إلى شرك الكواكب، إلى الشرك في الكواكب والأجرام السماوية وهو شرك قوم إبراهيم والثاني إلى الشرك في الصّالحين وعبادتهم وهو شرك قوم نوح، وهؤلاء المتأخرون من العرب جمعوا بين الأمرين جمعوا بين الشرك في صورهذه التماثيل وهذا الغالب فيهم وبعضهم كان يعبد النجوم والكواكب ويصوّر صورها ، وهذا دليل ظاهر على أن الله تبارك وتعالى جعل طلبهم للشفاعة من هذه الآلهة جعله عبادةً لهم فقال: (ويعْبدون مِنْ دونِ اللهِ) [يونس:18] و من دون الله هذه في القرآن تأتي ويراد بها عبادة غير الله إستقلالاً بمعنى أنه يعبد غير الله ولا يعبد الله تعالى ولا يلتفت بقلبه إلى الله ولا بعبادته إلى الله، وتأتي ويكون معناها عبادة الله وعبادة غيره معه وكلّ هذا شرك بالله .

قال المصنّف رحمه الله : **والشفاعة شفاعتان**: الشفاعة شفاعتان يعني في نصوص الكتاب والسنّة وهذا الذي سيذكره المصنّف مأخوذ على التقريب بنصّه وفصّه من كلام شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله في كتاب النبوّات وفي كتاب الصّفدية.

يقول: **والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية**: يعني نفتها نصوص القرآن ، **وشفاعة مُثبتة**: أثبتتها نصوص القرآن .

ولمّا ذكر هذين النوعين أراد أن يُعرّف لك أو أن يضبط لك كلّ نوع من هذين النوعين فقال: **فالشفاعة المنفية**: ما تعريفها ؟ ما حقيقتها ؟ قال : **ماكانت تُطلب من غير الله في ما لا يقدر عليه إلاّ الله** : وضَعْ على هذا الضّابطِ خطّا وأحفظ هذا الضابط حفظا مُتقَناً وإن كنت قد حفظت القواعد الأربع لأنّه سيجري معك في كلّ ما هو شرك بالله تعالى من جنس ما يُقيَّد فيه المقدرة من المطلوب منه كالاستغاثة فتقول:

الإستغاثة: ما كانت تُطلب من غير الله في ما لا يقدر عليه إلاّ الله .

الإستعانة: ماكانت تطلب من غير الله فيما لايقدر عليه الا الله .

هذا الضّابط نافع وجامع للشرك أو لأنواع الشرك في باب الإستعانة ، الاستعاذة ، الاستغاثة ، الشفاعة وهكذا.

قال: **والدّليل** الدّالّ على هذه الشّفاعة المنفية **قوله تعالى** **(يا أيّها الّذِين آمنوا أنْفِقوا مِمّا رزقْناكمْ مِنْ قبْلِ أنْ يأْتِيَ يوْمٌ لا بيْعٌ فِيهِ ولا خلّةٌ ولا شفاعةٌ ۗ والْكافِرون َهُمُ الظّالِمون)[البقرة:254].**

فنفى الله تبارك وتعالى الشفاعة لكنه نفاها عن الكافرين فقال: (والْكافِرون هم الظّالِمون) [البقرة: 254] لماذا؟ لأنّ هذه الشّفاعة التي يزعمونها ويدّعونها في آلهتهم ويزعمون أنّ آلهتهم تملكها في الدنيا وتملكها في الآخرة نفاها الرّب جلّ وعلا فقال: (ولا شفاعةٌ) فليس لهم شفاعة وليس لهم شفعاء فهذه الشفاعة منفية وهي الشفاعة الشركية ، الشفاعة الشركية منفية لا وجود لها ، لا حقيقة لها وإن طلبها المشركون وإن زعموها.

قال رحمه الله: **والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله** ، هذه هي الشفاعة المثبتة وهذا هو التوحيد وهذا تعريف العبادة وتعريف الإستغاثة وتعريف الإستعانة فتقول: الإستعانة هي التي تُطلب من الله يعني إستعانة العبادة والتوحيد.

فالشّفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، لماذا تُطلب من الله ؟ لأنّ الله جلّ وعلا قال (قلْ لِلّهِ الشّفاعة جمِيعًا) [الزمر:44] ، وقدّم ما حقّه التأخير لإفادة الحصر يعني قدّم الجار والمجرور ، فالشّفاعة لله، فإذا كانت لله ملكاً فإنّها لا تُطلب إلاّ من الله ، لكن هذه الشّفاعة إذا قام بها الشّافع فإنّه لا يقوم بها إستقلالاً ولا يملكها إستقلالاً ، بل هي من كرم الله لذلك الشّافع فالذي يُكرِم بالشّفاعة هو الله فقال: **والشافع مُكْرَمٌ أو مُكَرَّمٌ** بأيّ شيء ؟ **بالشّفاعة** ، فهذا الشافع وإن كان شافعاً شرعاً وممّن جعله الله من الشفعاء الشفاعة المثبتة الشرعية فإنّ هذه الشّفاعة إنّما هي إكرام من الله أكرمه بها ، **والمشفوع له من رضي اللهُ قولَه وعملَه بعد الإذن** وهنا جمع شرطَيْ الشّفاعة: الإذن للشّافع **وكما قال تعالى:** **(منْ ذا الّذِي يشْفع عِنْده إلّا بِإِذْنِهِ) [البقرة:255]** ، والرِّضى عن المشفوع ، قال: والمشفوع له من رضي اللهُ قولَه وعملَه ، والذي رضي اللهُ قوله وعمله هو الموحِّد كما جاء في الصحيحين في حديث أبي هريرة: [من أحق النّاس بشفاعتك ؟ قال من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه] أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، هذا دليل الرِّضى وكما قال جلّ وعلا (ولا يشْفعون إلّا لِمنِ ارْتضىٰ) [الأنبياء: 28] وهذان هما شرطا الشّفاعة:

الإذن للشافع بأن يشفع (مَنْ ذا الّذِي يشْفع عِنْده إِلّا بِإِذْنِهِ ۚ) [البقرة: 255] والرضى عن المشفوع (ولا يشْفعون إِلّا لِمنِ ارْتضىٰ) [الأنبياء:28].

وبهذه ختم المصنّف رحمه الله تعالى الكلام على القاعدة الثانية ولمّا فرغ منها يستعرض في ذهنك أو تستعرض أنت في ذهنك شبهةً أو سؤالاً وهو: إذا كان شرك الأوّلين في القربة والشفاعة فإنّهم كانوا يطلبون هذا في الجاهليّة -العرب يعني في الجاهلية العرب وغيرهم- يطلبونها في الأصنام التي صوّروها للصالحين ومن هنا قال بعض الجهّال وبعض المغرضين وبعض مرضى القلوب وبعض المشركين: إن الآيات الواردة في الشرك إنما هي فيمن عبد الأصنام ومن عبد الأوثان ومن عبد الأحجار والأشجار أمّا من اتّخذ الصّالحين كعيسى والملائكة وجميع الرسل والأنبياء والعلماء فإنّه لا يكون مشركاً ، قالوها وكتبوها في كتبهم: المشرك هو من عبد الأصنام والأحجار والأشجار والأوثان أمّا من تقرّب بالصّالحين من الأنبياء والمرسلين فإنّه لا يكون مشركا .

فأراد المصنّف أن يُبطل هذه القاعدة وأن يبطل هذه الشبهة ، بالأصحّ أن يبطل هذه الشبهة وأنّ المشركين الذين أشركوا في عبادة الله تبارك وتعالى وإن تنوّعت صورُ من أشركوهم بالله تعالى فإنّ هذا لا يُخرجهم عن إطلاق حكم الكفر والشّرك عليهم فليس الشرك مختصّاً بالأشجار والأحجار بل كلّ من عَبَدَ غير الله تعالى فإنّه مشرك كافر.

قال رحمه الله: **القاعدة الثالثة: أن النّبيّ ﷺ ظهر على أناس متفرّقين في عباداتهم أو في عبادتهم منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأنبياء والصّالحين ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الشّمس والقمر وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يُفرّق بينهم.**

ثمّ ذكر الأدلّة على ذلك وهذه القاعدة قاعدة عظيمة جليلة تُفهمك أنّ (من أوسع أودية الباطل الغلوّ في الأفاضل) كما يقول العلامة المعلمي عليه رحمة الله ومغفرته ، فإن بعض الناس ربما إتخذ بعض الصالحين أو الأنبياء أو الملائكة أو الجن أو الرسل معبودين من دون الله تبارك وتعالى ، يصرف لهم أنواع العبادات من النذر والذبح والإستغاثة والدعاء والتبرك ، وما أشبه ذلك ، والإستعاذة ، وما أشبه ذلك.

المصنف رحمه الله يقول بأن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم ، بعض أهل العلم يقول : الكفر ملة واحدة ، نعم الكفر ملة واحدة من جهة كونه كفراً، لكن الكفر شُعَب والكفر مِلل من

ناحية أخرى ، ولهذا شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في "التوسّل والوسيلة" يقول: بأن الكفر شُعَب كما أن الإيمان شُعَب ولهذا قال تعالى (إنما النسيئ زيادة في الكفر يُضَلّ به الذين كفروا)، فالكفر ملة كثيرة متنوعة ، والجامع لهذا هو الضابط الذي ذكره لك شيخ الإسلام رحمه الله ، يعني أبن عبد الوهاب في الثلاثة الأصول وقلنا لك لابد وأن تُرَكِّز عليه، **وهو أن من صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر** ، ثم أستدل بقوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)، فعُلِم من هذا أنه لا فرق في جهة العبادة بين المعبودين فمن عبد شجراً أو عبد حجراً، كمن عبد ملَكاً أو نبياً مرسلاً، من جهة العبادة، المعبودون لا يستوون عند الله ، كما مَرَّ معنا في الثلاثة الأصول، من عُبِد و هو راضٍ ، وهنا يقول المصنف: **ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم** ، يعني في عبادتهم وفي معبوديهم فلم يعبدوا إلهاً واحداً دون الله جل وعلا ، في البخاري عن أبن عباس أن النبي عليه الصلاة والسلام دخل الكعبة وفيها ثلاثمائة وستين صنماً، فيها ثلاثمائة وستون صنماً ، فقال منهم من يعبد الملائكة -عَدِّلوها في النسخة التي عندكم - ، ومنهم من يعبد الصالحين ، الأنبياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الشمس والقمر ، كل هذه عُبدت من دون الله سبحانه وتعالى ، ولها عابدون يعبدونها ، قال رحمه الله: **وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يُفَرِّق بينهم** ، والقتال فرع عن التكفير، ولهذا ذكرت لك في القاعدة الأولى، يعني قتال الكفار ، أما القتل فقد يُقتل المسلم ، وقبل هذا ذكرنا في القاعدة الأولى أن الكفار الذين قاتلهم فجمع بين هذين الأمرين ، بين القتل أو القتال وبين الكفر ، فقال وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يُفَرِّق بينهم من جهة إقامة الحكم الشرعي عليهم والمقصود هم المقاتَلون أوالمقاتِلون بالأصح، وإلا فإنه قد نهى عن قتل الوليد والراهب في صومعته والمرأة والشيخ الكبير ولكن هؤلاء أيضاً لابد من إدخالهم في حكم الإسلام بإعطاء الجِزية (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فهذه خيارات الإسلام :إما أن يدخل في الإسلام وإما أن يعطي الجزية وإما أن يقاتَل .

هذا حكم الله في الكفار ، أما الجزية فلا فرق فيها ولكن القتال إنما يكون لمن كان حربياً كما هو معلوم ، فأهل الذِمَّة لا يُقاتلون ، أهل العهد لايُقاتلون على تفاصيل ليس هذا محلَّها .

قال **ولم يفرق بينهم** والدليل الدال على أن النبي عليه الصلاة و السلام قاتل جميع الكفار، قوله تعالى(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقع في بعض النسخ ،(يكون الدين لله) ، هذه آية البقرة والتي هنا آية الأنفال ، فالأمر في هذا سهل ، الله عز وجل قال (وقاتلوهم) وكما قال في آية التوبة(فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ، (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون

ما حرم الله ورسوله) ، هنا قال (حتى لا تكون فتنة) يعني حتى لا تقع الفتنة ، قال العلماء : والمراد بالفتنة الشرك والكفر ، بمعنى أنهم إذا تُرِكوا حملوا الناس على الشرك وعلى الكفر فتقع الفتنة (والفتنة أشد من القتل)،(والفتنة أكبر من القتل) كما في الآيات الأخرى، ومتى لا تكون الفتنة ، إذا كان الدين كلّه لله ، لهذا قال الرب جل وعلا (ويكون الدين كله لله) أي العبادة ، العبادة والطاعة وأمتثال الأوامر والنواهي وهذه هي الغاية من قتال الكفار كما ذكرنا في جوابات أسئلة الدرس الماضي ، ليس من مقصود الشريعة قتل الكفار لِمُجَرَّد قتلهم، وإنما ليكون الدين كله لله ، ولهذا جاء في الصحيحين في حديث أبي موسى الأشعري أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : [من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله] .

بعد ذلك المصنف رحمه الله تعالى ذكر دليل كل واحد مما مضى من أنهم سُمُّوا عابدين وسُمُّوا مشركين بسبب عبادتهم لهذه المعبودات وليس مخْتَصًّا بالأشجار والأحجار ، فقال: **ودليل الشمس والقمر** أي الدليل الدال على أن من عبد الشمس والقمر من دون الله تعالى ، يعني مع الله أوإستقلالاً فإنه مشرك كافر وسمّاه الله عابداً لهذه المخلوقات قال(": ومِن آياته) أي علاماته الدالة على كمال قدرته (الليل والنهار) في جريانهما وسيرهما (والشمس والقمر) في جريانهما وسيرهما ، (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر)لا تباشروا السجود للشمس ولا القمر لأن السجود من أجّل العبادات وأقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد ، وليس هنا مختصاً بالسجود فلو دعاها أو ركع لها أو ذبح لها أو نذر لها أو إستغاث بها كان مشركاً (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) والنبي عليه الصلاة والسلام نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس لأنها تطلع بين قرني شيطان وهناك يسجد لها الناس ، يعني أنه يسجد لله وُينهى عن أن يسجد في هذا الوقت ليُشابههم مع أنه ساجد لله ، فكيف بمن سجد لها ، هذا مشرك كافر بالله جل وعلا (واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) فمن سجد لها كان عابداً لها ، من سجد لله كان عابداً لله مُوَحِّدا.

قال: **ودليل الملائكة** أي الدليل الدال على أن من أتخذ الملائكة معبودين يدعوهم ويستغيث بهم فإنه مشرك كافر، قال (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي معبودين تعبدونهم من دون الله كما قال الله عز وجل في أهل الكتاب (أتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) يعني مطاعين وهنا معبودين وكما قال لك المصنف في الثلاثة الأصول "والرب هو المعبود" فالرب إذا أُطلِق يُراد به المعبود(ولايأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا).

قال: ودليل الأنبياء يعني الدليل الدال على أن إتخاذ الأنبياء وعبادة الأنبياء شرك قوله تعالى (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق، إن كنت قُلتُه فقد عَلِمتَه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب) هذا هو الدليل الدال على أن النصارى كفَّرهم الله تبارك وتعالى وجعلهم متخذين لالهة دونه بسبب عبادتهم لعيسى وأن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يأمرهم بذلك (ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين) معبودين، مطاعَيْن (من دون الله) كما قدَّمنا معناها قال (سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق ، إن كنت قُلتُه فقد عَلِمتَه)لأن الله عز وجل إنما قال ذلك لهم تقريراً وإنكاراً عليهم.

قال **ودليل الصالحين** أي والدليل الدال على أن اتخاذ الصالحين معبودين وأرباباً قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وهذه نزلت في الجن، كان العرب من المشركين يدعونهم ويتوسلون بهم ويستغيثون بهم ويسألون حوائجهم والجن في شغُل عنهم ، يعبدون الله تبارك وتعالى ويسألونه القربة إليه، فقال (إلى ربهم الوسيلة) والوسيلة هي الحاجة والقربة كما قال عنترة :

إن الرجال لهم إليك وسيلة***أن يخطبوك تكحّلي وتخضبي

"وكما قال الآخر :

إذا غفل الواشون عدنا لِوَصلنا ***وعاد التَّصافي بيننا والوسائل

أي القُرب والحاجات وليس في عُرف اللغة ولا في عُرف الشرع أن الوسيلة هي الجاه، أي جاه الشخص الآخر الذي يُتوسَّل به كما يُقَرِّره الجاهلون ، وحالهم ، ما هو حالهم ؟ أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

قال: **ودليل الأشجار والأحجار** أي الدليل الدال على أن من عبد الأشجار والأحجار فهو مشرك كافر قوله تعالى(أفرأيتم اللّات والعزّى ومنات الثالثة الأخرى) اللات هذه ، على هذه القراءة المخفَّفة ، صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف لها أستار وسدَنة وحوله ثناء معظَّم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومَن تابعها ، وكانوا قد اشتقُّوا اسمها من اسم الله ، وقالوا اللاّت يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علُوّاً كبيراً ، وحكى أبن جرير عن أبن عباس ومجاهد والربيع ابن أنس أنهم قرؤوا اللاّتّ بتشديد التاء

وفسّروه بأنه كان رجلاً يلِتُّ للحجيج في الجاهلية السَّوِيق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه ، هذا كلام أبن كثير رحمه الله ، فاللات أو اللاتّ بالتّشديد إسم فاعل من اللتّ وهو الذي كان يلِتُّ لهم السَّوِيق ، والعُزّى من العزيز ، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف وكانت قريش يُعظِّمونها ، وأما منات فكانت بالمُشَلّل عند قُديْد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يُعظمونها ويُهِلُّون منها للحج إلى الكعبة ، ومنات عبارة عن حجر وهي مشتقّة من المَنَّان أو من منى لكثرة ما يمنى عليها من الدماء ، هذه الأشجار والأحجار ، أصنام وأوثان اتخذوها من دون الله تعالى .

قال رحمه الله: **وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، قال [خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سِدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يُقال لها ذات أنواط، فمررنا بسِدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط]** .الحديث .هذا الحديث لم يُخَرِّجه المصنف وهو عند أبي داوود والترمذي وقد صححه جمع من أهل العلم ، منهم الشيخ الألباني والشيخ مقبل رحمة الله عليه في الصحيح المُسنَد مما ليس في الصحيحين وقد ذكره المصنف رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد ، في "باب من تَبَرَّك بشجر وحجر ونحوهما" وهذا دليل ظاهر على أن النبي ﷺ نزّل طلبهم بذات الأنواط بمنزلة أصحاب موسى حين طلبوا إلهاً لأن الحديث في تمامه ، قال [الله أكبر إنها السّنَن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم ألهة، قال إنكم قوم تجهلون] .

وبهذا إنتهى المصنف رحمه الله تعالى من القاعدة الثالثة.

وقال بعد ذلك: **القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين،لأن الأولين يشركون في الرّخاء ويُخلصون في الشِّدة ومشركوا زماننا شركهم دائم في الرخاء والشِّدة،والدليل قوله تعالى " فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البَّر إذا هم يشركون ."**

ختم المصنف هذه القواعد بهذه القاعدة التي تُعظِّم الشرك في نفسك وتخيفك منه وتجعلك طالباً للحواجز والسُّتُور ، وهذه القاعدة في المقارنة بين شرك الأوّلين وشرك المتأخرين ، وقد تكلم عنها أو عليها أيضاً المصنف رحمه الله في كتابه كشف الشُّبُهات وزادها إيضاحاً وإنما نقتصر هنا على مراد المصنف فقال رحمه الله: إنّ مشركي زماننا أي الذين واجههم وقابلهم وقرأ كتبهم وعايشهم ، أغلظ شركاً من الأولين يعني أن شركهم أشد ، هم مشركون ، وهذا راجع إلى القاعدة التي ذكرتها لك آنفاً من كلام شيخ الإسلام

حين قال بأن الكفر شعب ، بعضه فوق بعض كما قال تعالى (إنما النسيئ زيادة في الكفر) فالمشركون الأولون مشركون والمتأخرون مشركون ، لكن هؤلاء زادوا على شرك الأولين أن الأولين يشركون في الرخاء وفي السَّعة والدَّعة والراحة وعدم الخوف فيَسألون حوائجهم من ألهتهم ويذبحون لها وَينذُرون ، لكن إذا وقعت بهم الشدائد فإنهم يخلصون وقد جاء في ترجمة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه قبل إسلامه لما فر من النبي عليه الصلاة والسلام ، بعض أهل العلم يصححها أنه لما فر معهم وركب البحر إشتد بهم الموج فقالوا أخلصوا دعاءكم لله ، قال وما هذا ، قالوا الذي يدعوا إليه محمد ، فقال إن كان هذا هو الذي فررت منه فأنا راجع إليه فرجع وأسلم مع النبي ﷺ ، فهم كانوا يخلصون ينيبون ، لا يجعلون بينهم وبين الله أحدا ، كما قال جل وعلا (أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فهؤلاء هم المشركون المتقدمون حالهم فقط أنهم يشركون ، وهذا القرآن يقصه في آيات كثيرة ، ومشركوا زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة لايفرقون بين رخاء ولاشدة والدليل قوله تعالى ، يعني الدليل الدال على هذا(فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله) يعني المشركين الأولين (دعوا الله مخلصين) أي حال كونهم مخلصين(مخلصين له الدين) والدين هنا المراد به التوحيد (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) عادوا إلى حالة الرخاء ومن قرأ في كتب القوم رأى عجباً من حالهم وقد كنت قرأت في كتاب "الورد اللطيف" قديماً يعني منذ ما يزيد على خمسة عشر عاماً أن في ترجمة أبي بكر العيدروس ، أنهم كانوا خرجوا ، خرج بعض الناس على البحر فاشتد بهم الأمواج، فأشتدوا وأشتد، فكانوا يدعون ويستغيثون كل واحد بمن يعتقد فيه ، فقال هذا المترجم ، قال فدعوت سيدي أبو بكر العطاس أوالعيدروس وأخذتني غفوة فإذا أنا برجل عليه ثياب بيض ومعه خرقة ، وضع هذه الخرقة في خرق السفينة فمضت ومضينا وهذا كثير لونظرت في "طبقات الأولياء" للشعراني و"جامع كرامات الأولياء" للنبهاني، لرأيت أعجب مما ذكرت لك .

وبهذا الموضع ينتهي التقرير على القواعد الأربع بما يَحُلُّ أويَحِلُّ غامضها ويبين مجملها ويكشف مشكلها ويقرر فوائدها ، أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر فإن هؤلاء عنوان السعادة .

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وأصحابه أجمعين.